ومما يلمح في رسالة يحيى أنها رسالة التبشير بالمسيح عليه السلام و﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1] فرسالة التبشير هذه هي رأس الزاوية من رسالته المباركة.

ولأن شعب إسرائيل حسب البشارة في العهد العتيق كانوا ينتظرون المسيح، ظنوا يحيى وهو يوحنا المعمدان أنه المسيح عليه السلام فنفى لمرات عن نفسه أنه المسيح وكما في «لوقا الإصحاح الثالث»: «وإذا كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح عليه السلام ١٥ أجاب يوحنا الجميع قائلاً: أنا أعمدكم بماءً ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحلَّ سيور حذائه وهو سيعمدكم بالروح القدس ونار (١٦) الذي رفشه في يده وسينقي بيدره ويجمع القمح إلى مخزنه (١٧).

وفي يوحنا ١: ١٩ - ٢٧: «وهذه شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت؟ فاعترف ولم ينكر وأقرّ: إني لست أنا المسيح، فسألوه إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا! النبي أنت؟ فأجاب: لا! فقالوا: من أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك قال: أنا صوت صارخ في البرية - قوّموا طريق الرب كما قال اشعيا النبي - وكان المرسلون من الفريسيين، فسألوه وقالوا له ما بالك تعمِّد؟ إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي؟ أجابهم يوحنا قائلاً: أنا أعمد بماءً ولكن وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه».

هذه الآيات ترسم الجوّ الإسرائيلي بانتظار ثلاثة أشخاص بعد يحيى: «المسيح - إيليا والنبي»! وقد صدقهم يحيى هكذا كما الفريسيون، وليس

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

«النبي» إلا الرسول محمد ﷺ الذي بشرت به كتابات العهدين العتيق والجديد، وقد كان معروفاً لديهم لحد الغنى عن ذكر اسمه وكأنه - فقط - نبي لا سواه، و«إيليا» هو علي دون «إلياس النبي» لاختلاف الاسم وسبقه على يحيى بزمن، وقد أتى إيليا لعلي في بشارات أخرى[١].

(١) راجع كتاب «رسول الإسلام في الكتب السماوية».

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦
فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا
١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠
رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ
يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ
وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١ فَحَمَلَتۡهُ
فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ
يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا
تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ
عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ
أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦
فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧
يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ فَأَشَارَتۡ
إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ
ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي
بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا
شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣
ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ

أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾
وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ
بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ
يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ
قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۘ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ
عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

عرض عريض لقصة الولادة والنبوة العجيبة لعيسى تلو يحيى لما بينهما من مشابهات فيهما. فقصته مختصرة عابرة للمبشِّر تتقدم لتقدمه في رسالة البشارة - ثم تتلوها قصة المسيح بداية من أمها في حِملها وحَملها وولادتها، وهي أعجب من قصة يحيى، فإذا ولد من عاقر وشيخ قد اشتعل رأسه شيباً فهنا الولادة دون بعل من طاهرة عذراء كأعجب ما يشهده تاريخ الإنسان إلا ما لم يشهده من خلق آدم مهما عرف بوحي القرآن.

ذلك ولكي تكون الولادة من غير أب دلالة على إمكانيتها دون أبوين، كما أن هذه دلالة على أوليتها دون أب ليهتدي أولاء وهؤلاء فلا يخيّل إليهم أصل الأنواع ولا البنوة الإلهية، وهذه الولادة بجنب ذلك خارقة لبيت إسرائيل الخارفة التي لا تحن إلى آية إلهية خارقة، اللهم إلّا جديدة محيرة كهذه، رغم أن طائفة منهم اتخذوها فرية وأخرى بنوة إلهية دون أية حجة إلّا أهواء مضللة!

يولد المسيح هكذا ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ مثالاً للخلق الأوّل وخارقة للآخرين، تدليلاً على حرية وطلاقة القدرة الإلهية دون احتباس في النواميس التي قررها فـ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]

(١) سورة يوسف، الآية: ٢١.

حادثة واحدة لن تتكرر حيث انقطعت النبوة بعد محمد ﷺ ولكي تبقى معَلماً بارزاً أمام البشرية على حرية المشيئة الإلهية!.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾:

﴿مَرۡيَمَ﴾ لغة سريانية تعني الغالبة المرتفعة، وعلّها لأنها غلبت شهوتها وأحصنت فرجها رغم جمالها وكثرة الراغبين إليها، وغلبت على الولد الذي هوته أمها في قداستها وإنتاجها. وارتفعت عما افتروا عليها، وعن أقرانها من نساء العالمين وقبل كل ذلك هي موهوبة الرب وقد تقبلها ﴿رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ﴾[1] تقبلها مريمَ كما تسمت بما تعنيه من معانيها!.

وفي حين تذكر مريم خمساً وثلاثين مرة في القرآن بكل تبجيل وتجليل، لا تذكر في الإنجيل إلّا خمساً بكل مهانة وتخجيل[2].

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾ هنا يؤمر الرسول أن يذكر في الكتاب مريم وما هو ذلك الكتاب؟ أهو القرآن وذاكر مريم وسواها مما يذكر فيه ليس إلّا الله، فإنه كلام الله والرسول وسيط لنقله إلى العالمين!

إنه ذكرها في القرآن بالوحي، فالقرآن هو كلام الله في الأصل، وهو كلام الرسول كرسول ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠﴾[3] فـ ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾ ذكر بالوحي في بعدي اللفظ والمعنى كما في

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٢) وهي ١: قصة قانا الجليل (يوحنا ٢: ٣) ٢: إذ أرادت أن تكلم ابنها وهو يعلم تلاميذه و(متى ١٢: ٤٦) ومرقس ٣: ٣١ ولوقا ٨: ٣ ١٩: عند صلبه (يوحنا ١٩: ٢٦) ٤: وفي الأيام الأولى بعد صعوده (يوحنا ١٤١: ١٤) ٥: عند ذكر أبنائها: يعقوب، يوشي، يهودا، شمعون وعدة من بناتها (متى ١٣: ٥٥ و٢٧: ٥٦ ومرقس ٦: ٣ و١٥: ٤٠ و٤٧.
أقول لم يكن لها ولد إلا المسيح حسب القرآن والحديث ويأتي توضيح موارد الإهانة بها في هذه الآيات.

(٣) سورة التكوير، الآيتان: ١٩، ٢٠.

«إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس»[(١)] وذكري الخمسة كلها في هذه السورة!..

أو أنه ذكرها في نفسه ﷺ مما أوحي إليه ليلة القدر وهنا التفصيل، فالكتاب إذاً هو القرآن المحكم، أو أنه يعنيهما جملة وتفصيلاً.

وذكر مريم في سورتها وسواها ذكر لواجب قصتها التي تتبنى طهارتها وطهارة المسيح عليه السلام، لا سردها على طولها كما تقص في كتب القصص!

إن مريم هي فتاة عذراء، قديسة حوراء، تستوهبها أمها من ربها فيهبها ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا...﴾[(٢)].

هذه الفتاة - وهي حليفة المحراب، تأخذها انتباذات وهزات تنبض لها ولابنها المسيح بآية دائبة وحياة! وهي بعدما اهتزت بالبشارة الملائكية من قبلها.

نبذة أولى: ﴿إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا...﴾. ثم هزة ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾.

وهزة ثانية: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ...﴾.

وهزة ثالثة: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ وهنا نبذة ثانية ﴿فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾.

وهزة رابعة: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ وهنا بشارة تخفف عنها هزاتها ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾.

ثم هزة خامسة: هي الأخيرة ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾

(١) وهم على الترتيب في ١٩: ١٦ - ٤١ - ٥١ - ٥٤ - ٥٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

ولكنها تسكن إلى رياحة ورحمة: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ...﴾ ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾!.

﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ والنبذ هو الطرح المضمَّن معنى الرفض امتهاناً أحياناً: ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ﴾[1] ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾[2] وامتحاناً أخرى ﴿۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾[3] فمنه مذموم ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾[4] ومنه غير مذموم وإن تراءى أنه مذموم، كالتكاليف النسائية الواجبة من غسل وأمثاله.

وانتباذ مريم وانطراحها مكاناً شرقياً قبل تمثل الروح لها بشراً سوياً وقبل حملها، علّه لحالة خاصة بالفتاة تستحي فيها من أهلها كالغسل عن حيضها، حيث يقتضي الاحتجاب عنهم مكاناً شرقياً تشرق عليها الشمس تخفيفاً عن برودة الماء.

ولأنها كانت دائبة المقام في محرابها كما نذرت لذلك فلم تكن عند أهلها إلا أيام عذرها. فانتباذها إذاً من أهلها مكاناً شرقياً واتخاذها من دونهم حجاباً، ليس انعزالاً في عبادتها وإنما فيما يُستحى منه وإلّا فلماذا الانتباذ والحجاب والمكان الشرقي؟!.

فها هي ذي في شأنها الخاص حيث توارت حتى عن أهلها وهي عارية عن ملابسها تفاجأ مفاجأة عنيفة تهز أركانها وتفز مذعورة منتفضة لأول مرة في حياتها:

(١) سورة القصص، الآية: ٤٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.
(٣) سورة الصافات، الآية: ١٤٥.
(٤) سورة الحاقة، الآية: ٤٩.

﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾:

ها هي محتجبة عن أهلها وحتى عن أمها، مشغولة بشأنها في غسلها.

مطمئنة إلى انفرادها وهي عريانة بكامل جسدها، فإذا بشر سوي أمامها يفجؤها في خلوتها وعراها رغم حجابها! فتداخلها رهبة تفجئها رغم أهبتها بما بشرت في الأولى، إذ ترى أمامها بشراً سوياً وليس هنالك سوي ولا غير سوي ليكون هو منهم، فإنها ﴿ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ فما لها وبشراً أمامها، إلا اختلاساً عليها إذ يحضر عندها وهي عارية في شأنها الخاص دون أهبة ولا استئذان. وكأنه من أقرب المحارم، بل هو زوج لا يكاد يستأذن زوجه!

وترى من هو ﴿رُوحَنَا﴾ المتمثل ﴿لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾؟ ولماذا لم يظهر بصورته الأصلية حفاظاً على اطمئنانها؟ هنا ﴿رُوحَنَا﴾ واهبٌ لمريم غلاماً زكياً بإذن الله نفخاً فيها في فرجها، وفي أخرى المنفوح في فرجها هو «من روحنا»: ﴿ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[1] وهي تفسر ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾[2] أن النفخ من روحنا فيها لم يكن إلّا في فرجها[3] وإضافة «نا» الإلهية فيهما لا تعني إلا تشريفاً للنافخ والمنفوخ أنهما من الأرواح المشرفة التي خلقها، كما في آدم عليه السلام ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[4] ثم في بنيه: ﴿... وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾[5] وهذه الأرواح الأربعة: ﴿رُوحَنَا﴾ - «من روحنا» «من روحي»

(١) سورة التحريم، الآية: ١٢.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩١.
(٣) راجع ج ٢٨ من الفرقان تجد كيف النفخ والحمل؟.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٢٩.
(٥) سورة السجدة، الآيات: ٧-٩.

«من روحه» كلها من أمر الله لا من ذاته ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[١] فإنها تفسر الأرواح كلها أنها من أمر الله، وليس أمر الله ذاته أو من ذاته، وإنما هو فعله المختلف عن ذاته بكل بينونة ذاتية وصفاتية، مهما كان مفضلاً على سائر الأرواح أمّاذا؟.

«وروحنا» المرسل لذلك النفخ ليس إلا الروح الأمين النازل بالوحي ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[٢] والنازل بروح النبوة على رجالات الوحي: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ...﴾[٣] فهو النازل بروح المسيح وجسمه ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[٤] مهما كان النافخ في الحق هو الله ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[٥].

ومهما كانت هذه الأرواح المضافة إلى الله مفضلة على سائر الأرواح جملة، ففيها التفاضل بينها كما بينها وبين سائرها، ف ﴿رُوحَنَا﴾ يمتاز عن «روحي» كما «روحي» يمتاز عن «روحه» حضوراً لجمعيته الصفات في أوّلها، وحضوراً دونها في ثانيها، وغياباً مفرداً في ثالثها، كما وأن روح المسيح عليه السلام مفضَّل على روح آدم، وهو مفضل على بنيه كمجموعة، اللهم إلا المفضلين عليه كبعض النبيين وأكابر المعصومين!

وإنما تمثل لها بشراً، حيث التجلي بالصورة الملكية ليس إلّا أحياناً لرجالات الوحي دون الآخرين: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[٦]... ومن ثم ﴿سَوِيًّا﴾ فإن غير السوي لا يناسب تمثل

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٣، ١٩٤.
(٣) سورة النحل، الآية: ٢.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٧١.
(٥) سورة التحريم، الآية: ١٢.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ٩.

﴿رُوحَنَا﴾ فإنه إزراء به، ولا المتمثل لها فإنه إخافة لها ومهانة في الرسالة إليها، ثم وفي بشر سوي هزة صادقة لها تهيئة لتحمُّلِ حَمل هو حِمل لها في ظاهر حالها!.

هذه هزة أولى تأخذها، عضة على أركان طهارتها وهي الطاهرة الزكية البريئة.

﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾:

تحاول الهرب مستعيذة بالله إذ تظنه معتدياً أثيماً، أو فاجراً زنيماً، وهي التقية المؤمنة، العفيفة الطاهرة، وتستعيذ بالرحمن خالقها منه إن كان تقياً يتقي بأس الرحمان، فغير التقي لا يستعاذ منه حيث لا يتقي على أية حال إلا بمعجزة ينجيها الله بها منه، وهي تستعيذ بالرحمن منه إن كان تقياً، استيقاظاً لروح التقوى فيه واستجاشته لكي لا يقر بها مخافة الرحمن!

ثم لماذا العوذة بخصوص «الرحمن» العام، دون «الرحيم» الخاص، وعوذة التقى تناسب الرحيم؟

هنالك عوذة خالصة بالله من الشيطان وحزبه لا يخاطب فيها الشيطان وإنما الله: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» ومن ثم عوذة بالرحمن ممن يؤمن به وهي ذات بعدين، أصيل هي بالرحمن، وفرع هي بمن كان تقياً، فـ «لقد علمت مريم أن التقي ذو نهية»[(١)] والتقي ينتفض وجدانه عند ذكر الرحمن ويرجع عن دفعة الشهوة ونزعة الشيطان وقد كانت ملامح التقى ظاهرة فالمؤمن ينظر بنور الله! فـ «الله» يستعاذ - فقط - به عند الإياس عن كل دافع عن الشيطان، و«الرحيم» يستعاذ به فيما تكون للرحمة الخاصة موقع كأن يكون المستعاذ منه ذو رحمة خاصة تدفعه عما يُخاف، وكما نعوذ

(١) الدر المنثور ٤: ٢٦٧ - أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي وائل في الآية: . . .